(القول المبين في مبطلات الأعمال والدين)

الحمد لله الذي خضعت لعظمته الرقاب، وذلت لجبروته الصعاب، ولانت لقدرته الشدائد الصلاب، وأشهد أن لا إله إلا الله ، رب الأرباب، ومسبب الأسباب، وخالق خلقه من تراب، وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، الذي أرسله إلى كافة الثقلين بشيراً ونذيراً، وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً .....وبعد،،،

فقد كان أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – مع اجتهادهم في الأعمال الصالحة، يَخْشَوْنَ أنْ تَحْبَطَ أعمالُهم، وألَّا تُقْبَلَ منهم، ويخافون على أنفسهم من النفاق؛ لرُسوخِ عِلمِهِم، وعَمِيقِ إيمانِهم. فكانوا رضوان الله عليهم يخافون من الوقوع في النفاق ويخافون من الوقوع في المعاصي والأعمال التي تحبط العمل.

فهذا ثابت بن قيس الأنصاري – رضي الله عنه– عندما نزل قول الله **تعالى" : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول**..الآية"

جلس في بيته حزيناً منكس الرأس، وكان رضي الله عنه رفيع الصوت فصيح اللسان فخاف أن تكون الآية نزلت فيه فيحبط عمله، فلما فقده النبي صلى الله عليه وسلم سأل عنه أو أرسل إليه فأخبر بخبره فقال صلى الله عليه وسلم " بل هو من أهل الجنة "والقصة في الصحيحين وهذا لفظ مسلم.

وهكذا كان غيره من الصحابة فكانوا كلهم يخافون من أن تحبط أعمالهم أو يتخلقوا ببعض صفات المنافقين، فكان الرجل منهم يؤتى به إلى صلاة الجماعة يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف خشية أن تكون فيه صفة من صفات المنافقين وهي التخلف عن صلاة الجماعة.

قال عبد الله بن أبي مُلَيْكَة: "أدركتُ ثلاثين مِن أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم – كلهم يخاف النفاقَ على نفسه، ما منهم مِن أحدٍ يقول: إنه على إيمان جبريل وميكائيل."

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: " سألتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم – عن هذه الآية :﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ** ﴾، قالت عائشة: " هم الذين يشربون الخمر، ويسرقون؟"، قال: ((**لا يا بنتَ الصدِّيق، ولكنهم الذين يصومون، ويصلُّون، ويتصدَّقون، وهم يخافون ألَّا يُقبَل منهم، أولئك الذين يسارعون في الخيرات**)) . سُنن الترمذي (5/ 327-328).

ومبطلات الأعمال كثيرة؛ منها ما يُبطِل جميع الأعمال، مثل: الشِّرك، والرِّدَّة، والنفاق الأكبر، ومنها ما يبطل العملَ نفسَه، كالمنِّ بالصَّدَقة، ومنها ما يبطل عمل اليوم ، كترك صلاة العصر، وغير ذلك.

وسوف أقتصر على ذكر ستة أمور، وعسى أن يكون فيها تنبيهٌ على ما سِواها:

الأول الشِّرك:

فإنه محبطٌ لجميع الأعمال؛ قال – تعالى – لنبيِّه محمدٍ – صلى الله عليه وسلم :- ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . الزمر: 65

الثاني :الرياء :

أن يقصد بالعمل غير وجه الله ، أو أن يعمل العمل ثم يطرأ عليه الرياء فيرائي بالعمل ، أما إن طرأ عليه الرياء أثناء العمل ثم راجع نفسه وأخلص فلا شيء عليه.

والرياء يسمى بالشرك الأصغر ، عن محمود بن لبيد – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((إنَّ أخوَف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر))، قالوا: "وما الشرك الأصغر؟"، قال: ((الرياء، يقول الله – تعالى – يوم القيامة إذا جازَى الناسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤُونَ في الدنيا، فانظروا هل تَجدُون عندهم جزاءً؟)) " مسند الإمام أحمد.(5/ 428) "

وقد يتهاوَنُ بعْضُ النَّاسِ بهذا النوعِ؛ بتسميتِه شركًا أصغرَ، وهو إنما سُمِّي أصغر بالنسبة للشرك الأكبر، وإلا فهو أكبر مِن جميع الكبائر؛ ولذلك قال العلماء:

1- إن الشرك الأصغر إذا دخل عملًا فسَد ذلك العمل وحبِط، ولم يقبل منه شيء.

2- إن الشرك الأصغر لا يُغفر لصاحبه، وليس فاعله تحت المشيئة كصاحب الكبيرة؛ بل يُعذَّب بقدْره، قال – تعالى :- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ النساء: 116.

فالواجب على المؤمن أن يَحْذرَ مِنَ الشرك بجميع أنواعه، وأن يخشى على نفسه منه، فقد خاف إبراهيم – عليه السلام – من الشرك، وهو إمام الموحدين؛ فقال لربه :﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ إبراهيم: 35

ثالثًا: المنّ والأذى :

فمعنى المنّ: تعداد النعمة على المنعم عليه، فيقول له: ألا تذكر يوم كذا أعطيتك كذا، وأحسنت إليك بكذا. والأذى: كل ما يؤذي الشخص من القول، أو الفعل، أو التصرف كالتعيير بالسؤال والحاجة.

وقد نهى الله عنهما فقال – تعالى :- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ البقرة: 264

قال الشاعر:

أَفْسَدْتَ بِالمِنِّ مَا أَسْدَيْتَ مِنْ حَسَنٍ لَيْسَ الكَرِيمُ إِذَا أَسْدَى بِمَنَّانِ

عن أبي ذر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((**ثلاثة لا يُكلِّمهم اللهُ يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يُزَكِّيهم، ولهم عذاب أليم**))، قال: "فقرأها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ثلاث مرات"، قال أبو ذَرٍّ: "خَابُوا وخسِروا، مَن هُم يا رسول الله؟"، قال: ((**المُسْبِل، والمَنَّان، والمنفِّق سلعتَه بالحلِف الكاذِب**)). صحيح مسلم (1/ 102)

رابعًا: ترك صلاة العصر:

قال تعال :- ﴿ **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلَاةِ الْوُسْطَى** ﴾ البقرة: 238 . والمراد صلاة العصر على القول الراجح.

عن بريدة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((مَن تَرَك صلاةَ العصْر حَبِط عملُه)) . صحيح البخاري(1/ 200) .

خامسًا: قطيعة الرحم :

قطيعة الرحم يعني قطع التواصل مع الأقارب وعدم الإحسان إليهم، وعدم التجاوز عن سيئاتهم، وهو عكس مصطلح صلة الرحم الذي يعني عكس ذلك كله، وقطيعة الرحم ذنب عظيم، وجرم جسيم، يفصم الروابط.

عن أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم " أخرجه أحمد في مسنده 10272

سادسًا: سوء الخلق:

عن عبد الله بن عمر – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : (**و إِنَّ سُوءَ الخُلُقِ يُفْسِدُ العَمَلَ، كما يُفْسِدُ الخَلُّ العَسَلَ**) . أخرجه الطبراني بإسناد صحيح.

كأنَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – أرادَ أن يقولُ: إنْ فَعَلتَ هذه الأعمالَ الصالِحَةَ، فإيَّاك أنْ يَفوتَك حُسْنُ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُفسِدُ الأعمالَ الصالِحَةَ، فَسادًا عَظيمًا، كما يفسُدُ العَسَلُ إذا وُضِعَ عليه الخَلُّ، فعليكَ -إذنْ- أنْ تَجتنِبَ سوءَ الخُلُقِ؛ فإنَّ سوءَ الخُلُقِ يُحبِطُ الأعمالَ، ويُضيعُ الثَّوابَ. ..... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه: فضيلة الشيخ/ **عبد الله السيد رحيم** – مبعوث وزارة الأوقاف المصرية بالبرازيل.